صناعة المنسوجات ومكانتها في الاقتصاد السومري

نصرت آدمو*

تمهيد

تمثل التقدم الكبير الذي شهده المجتمع والاقتصاد السومريين بالعديد من الحرف والصناعات التي مارسها السومريون لسد احتياجاتهم من انتاجها من جهة ولتصدير ما يفيض منه الى البلاد والاقاليم القريبة والبعيدة في عملية نشطة من التبادل التجاري هدفت الى الحصول على ما لم يتوفر في بيئتهم من خامات ومواد عديدة كانوا بحاجة ماسة لها. ومن بين تلك الصناعات برزت صناعة الغزل وحياكة المنسوجات التي ربما كانت من اكبر واهم الصناعات عندهم وكانت قد شهدت ثورة حقيقية في الإنتاج وفي دعم هذا الاقتصاد. ويُحسب للسومريين انهم عوضوا ما نقص لديهم من موارد طبيعية من خامات المعادن واخشاب واحجار كريمة وغيرها من المواد لقاء مبادلتها بسلع انتجوها هم مستغلين في ذلك الى اقصى حد ما وفرت الزراعة وتربية الحيوانات من موارد لهم، فكانت قطعان الأغنام التي انتشرت في مراعيهم مصدرا كبيرا للصوف الذي استعملوه باعتباره مادة رئيسية ليس في صناعة المنسوجات فحسب بل في العديد من الحالات بدلا نقديا لدفع أجور العاملين حاله حال الزيت والشعير وذلك خلال النصف الأول من الالفية الثالثة ق.م. وجعل هذا الامر العديد من المصادر تطلق على ميزوبوتاميا تسمية "ارض الصوف" وتعتبرها مسقط رأس هذه المادة نظراً لأهميتها من جهة ولارتباطها بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته المنطقة. ولم تكن نوعية المنسوجات بالمستوى المطلوب تماما حتى تباشير الالفية الثالثة عندما بدأت تقنيات تحويله الى غزول ومنسوجات في التطور والازدهار بدرجات متقدمة [1].

على الرغم من التنقيبات الاثرية الواسعة التي جرت في اثار مدن جنوب ميزوبوتاميا إلا ان الملاحظ قلة اللقى الاثرية من المنسوجات نفسها بسبب تلف تلك المواد وتحللها لعدم مقاومتها الظروف البيئية لفترة طويلة، لذلك فأن جُل ما كتبه الباحثون عن هذا الموضوع اعتمد على ما تمت دراسته من نقوش لملابس الملوك والآلهة وحتى الناس العاديين التي نُقشت على التماثيل والاختام الاسطوانية يضاف اليها النصوص المحفوظة في المعابد والقصور الملكية من الفترات المختلفة.

***نصرت آدمو: مهندس استشاري دولي متخصص بالسدود والموارد المائية وباحث في تأريخ العراق القديم مقيم في السويد حاليا.** **نُشر المقال بتأريخ 02/ نيسان / 2024**

ويمكن القول بأن الاقوام الأخرى من غير السومريين ومنهم المصريين تعاملوا مع أنواع عدة من الالياف في صناعة الغزل والنسيج مثل القطن والقنب والجوت إلا ان السومريين استخدموا الصوف والكتان بصورة رئيسية. وللعلم أيضا فأن الياف الكتان كانت قيد الاستخدام في العديد من المواقع في تركيا والشرق الأدنى منذ العصر الحجري الحديث إلا ان التحقق من استخدامها في المنسوجات في جنوب ميزوبوتاميا لم يتم إلا في فترة العبيد (4500- 4000) ق.م وذلك في موقع تل العويلي. وبالنظر للسهولة والكفاءة النسبية لإنتاج الغزول والانسجة الصوفية مقارنة مع الكتانية فقد كان هذا الامر هو ما حفز نحو قيام مصانع نسيج الصوف الكثيرة في جنوب ميزوبوتاميا وبالتالي ظهور طبقة كبيرة من عمال الغزل والنسيج المتخصصين به، وبحلول الالفية الثالثة ق.م تفوق الصوف على الكتان في انتاج المنسوجات ولم يتبق في بلاد سومر سوى 10% من تلك المنسوجات تُصنع من الكتان [2].

تنظيم العمل في قطاع الصوف والمنسوجات السومرية

كانت تربية القطعان الكبيرة من الأغنام كما اسلفنا جزءا مهما من الاقتصاد السومري منذ فترة اوروك المتأخرة وكانت هذه القطعان باعتبارها مصدرا للصوف المستخدم في صناعة المنسوجات امرا معروفا في فترة فجر السلالات والحقبة الاكدية. وتطورت هذه الصناعة تطورا ملحوظا في فترة سلالة اور الثالثة عندما صار انتاج المنسوجات الصوفية فعالية اقتصادية كبيرة وأصبحت نوعية تلك المنسوجات عالية جدا تليق بالملوك وصفوة المجتمع وبالتقديم هدايا للآلهة. وقد يكون لتدخل الدولة ضلع في ذلك حيث لوحظ في دويلات المدن منذ فترة فجر السلالات الأخيرة القوة الاستبدادية التي تمارسها الدولة بصورة واضحة وذلك من خلال كميات المنسوجات التي كان يجري إنتاجها تحت رقابة صارمة منها. ومن تلك المنسوجات ما كان باهظ الثمن لذا لا شك أنها كانت مخصصّة لنخبة القصر والمعبد أو للأغراض الاحتفالية، ومع ذلك فأن كميات أخرى منها كانت مخصصة للتصدير ليتم استبدالها بإمدادات المواد الخام الرئيسية من خلال التجارة مع الأقاليم البعيدة بالإضافة الى سد الاحتياجات المحلية. ومما يؤيد تسلط الدولة على جزء كبير من هذه الصناعة هو ما جاء في بعض النصوص من "لگش" من سجلات تذكر توزيع حصص شهرية من الشعير لأعداد كبيرة من النساجين وأطفالهم كاجور لقاء عملهم، وكانت أسماء العديد من هؤلاء غير سومرية مما يعني انهم كانوا عبيدا تم شراؤهم أو تم أسرهم أو القبض عليهم باعتبارهم هاربين. وتشير بعض النصوص الى ان كافة النساجين عملوا بدوام كامل في مجموعات وتتكون المجموعة الواحدة عادة من عشرين شخصًا ويترأس المجموعة الواحدة في الغالب امرأه من الأكبر سناً والأكثر خبرة ولم يخلُ ذلك من إشراف مباشر من الرجال أيضًا. وكان هناك العديد من الأطفال ممن رافقوا امهاتهم وحصلوا أيضًا على حصص الإعاشة التي جئنا على ذكرها، ومن بين العاملين أيضا كان هناك ايضا العديد من البنات القاصرات اللواتي عملن بمعية النساجات بينما تم فصل الأطفال الذكور عن

أمهاتهم عند سن البلوغ وتم إخصاؤهم وربما وجدوا لاحقا عملا وضيعا كعمال سحب لمراكب الشحن. ولم تتوفر معلومات دقيقة عن عديد القوة العاملة في النسيج في "لگش" لكن هناك ما يشير الى ان ما يصل إلى نصف عدد الافراد العاملين كانوا تحت سيطرة معبد واحد [3].

أمتاز قطاع الصوف والمنسوجات الصوفية بكونه احد اكبر واقوى قطاعات الاقتصاد السومري ففي "اور" مثلا عمل فيه بضعة آلاف من العمال في كافة الفعاليات إبتدائا من رعي وتربية الأغنام وجز صوفها الى تنظيف تلك الاصواف وصولا الى غزلها وصبغها ثم نسجها وأخيرا وليس اخرا تنظيفها وتسويتها وتشطيبها والوصول بها الى شكلها النهائي، فكان هذا القطاع مسؤولا عن انتاج كميات كبيرة جدا من المنسوجات لكسوة الآلاف من العمال التابعين للمعبد وقصور الملوك بالإضافة ألى تجهيز التجار بإمدادات كبيرة منها مخصصة للتبادل الداخلي والخارجي ليمكن من خلالها تأمين السلع الكمالية للأسرة الحاكمة وأجهزة الدولة والمعبد يضاف الى ذلك انتاج كميات محدودة من المنسوجات كثيفة العمالة عالية الجودة لاستعمال الملك والنخب الأخرى.

وتُشير النصوص المسمارية المكتشفة بأن ما أستخدم من الصوف سنويا كان يكفي لكسوة اكثر من 100 ألف فرد في ذلك الوقت وهو رقم قد لا يكون بالضرورة صحيحا لكنه يعكس مدى سعة هذا الانتاج.

وتُميز جميع النصوص من الألفية الثالثة بين الصوف الخام والمنتجات النهائية من المنسوجات. وتشير تلك النصوص الى انه تم توزيع المادتين كحصص إعاشة وفق قواعد صرف خاصة غير إن الحسابات المعقدة التي وصلت الينا تثبت أن آليات الصرف التي تسيطر عليها الدولة كانت تتعامل في المقام الأول بمادة الصوف. ويبدو أن "مؤسسة الصوف" اذا ما جاز لنا تسمية الجهة الرسمية المسؤولة عنه في مدينة "اور" كانت محط اهتمام ملكي خاص وذلك لوجود سجلات تفصيلية عن المبالغ المصروفة من خلالها سوآءا في تقديم التسهيلات والقروض او الصرف على جميع فعاليات جمع الصوف وغسله وتنظيفه ومن ثم تحويله الى غزول ومنسوجات وكذلك معالجة المنتوج النهائي بما في ذلك تنعيمه وتمتينه بمعالجته بالحرارة وتبييضه بالقلويات.

و يمكن التوصل من خلال حسابات حصص إعاشة العاملين ومعدلاتها القياسية كما وردت في تلك السجلات الى ان عدد العاملات من طبقة العبيد كان بحدود (19000)عاملة. ويشهد نص اقدم يعود لمدينة "لگش" على وجود أكثر من (6000) من النساجين، بينما يسجل النص نفسه حصص مخصصة لمشرفين من الرجال كانوا يقيمون في القرى المجاورة مما يعني انتشار منشئات الإنتاج وعدم تمركزها في محل واحد. وما يؤيد ذلك ما ورد في احد النصوص من ان عدد من العاملين في احد معامل النسيج كانوا يعملون ويعيشون في نفس المنشأة بينما جرت اعمال المعالجة والتبيض اللاحقة من قبل أعداد اخرى من العاملين وذلك في منشآت أخرى منفصلة إلا انها كانت تحت نفس الإدارة العامة.

انتشرت تربية الأغنام بأنواعها المختلفة في كافة مناطق جنوب ميزوبوتاميا وكانت منطقة "لگش" مركزًا مهما لتربية الاغنام ذات الالية وقد جرى تسجيل ما مجموعه (66,095) رأس فيها وذلك في العام السادس والثلاثين من حكم الملك شولكي (88/2089) قبل الميلاد. اما الأغنام من السلالة الجبلية "*udu-kur-ra*"، فجرت تربيتها بشكل أساسي حول مدينة "أومّا" وكانت تنتج صوفًا من الدرجة الرابعة والخامسة، كما جرت تربية مثل هذه الأغنام في "لگش" أيضا ولكن بدرجة اقل، وامتاز هذا الصوف بالخشونة وتراوح إنتاجه بمعدل بين (1.5) و(2.24) مينّا لكل حيوان أي حوالي (0.75 – 1.12) كيلوغرام للرأس الواحد واستخدم لحصص الصوف ذات الأستعمال العام وصناعة الملابس الخشنة. أما الأغنام الأكثر شيوعًا في فترة اور الثالثة فهي من نوع "*udu-uli-gi*" فقد جرت تربيتها في جميع أنحاء جنوب ميزوبوتاميا على الرغم من أن مركزها الرئيسي كان في منطقة مديمة "بوزرش داگان" الواقعة في "تل دريهم" في محافظة القادسية حاليا.

لم تقتصر العمالة في قطاع المنسوجات الصوفية على النساجين فحسب بل شملت ايضا العاملين ممن قاموا بجز صوف الأغنام وتجميعه واعداده وتجهيزه لأعمال الغزل والحياكة سواء من الاعداد الغفيرة من الرعاة الذين كانوا منتشرين حول المدن أو العاملين في جزه وتنظيفه. ومما تجدر الإشارة اليه بأن الرعاة كانوا يكلفون برعي قطعان الغنم والماشية بموجب تفاهمات اوعقود تبرم معهم وان من اهم بنود أي من هذه العقود تضمينه قائمة بعدد الحيوانات وحالتها إبتدائا وتشترط قيام الراعي بالتعويض عن خسارة أي رأس منها بسبب الإهمال، ويكون تعويض الخسارة هذه اما بحصة من الإنتاج او بكمية من الحبوب مع اشتراط الاحتفاظ بجلد الحيوان الهالك. لذا فقد كان من مصلحة الراعي وفقا لهذه العقود العناية بالقطيع بصورة جيدة واستمر العمل بهذا النظام حتى فترات متأخرة [4].

مراحل صناعة المنسوجات السومرية وتفاصيلها

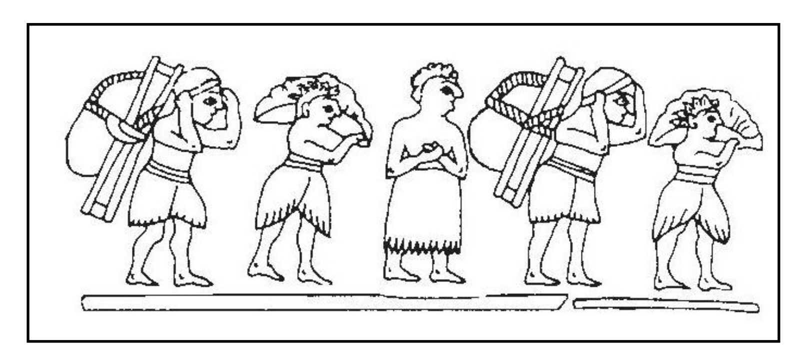
تضمنت المراحل المصاحبة لهذه الصناعة عدة فعاليات كان اولها عملية جز صوف الأغنام واستخدمت أدوات يدوية بسيطة لهذا الغرض. ويشير نص مسماري من مدينة "گرشو" يعود الى فترة سلالة اور الثالثة بأنه تم جلب (2259) رأس من الأغنام في يوم واحد الى المكان المخصص لجز الصوف، كما يقدر احد الباحثين بأنه جرى جز صوف ما عدده (205,310) من الأغنام في ثلاثة شهور في "گرشو" وحدها. ويتفق هذا مع نص من فترة اور الثالثة أيضا وفيه يتبين الحصول على (526,400) منّا من الصوف أي ما يساوي (376,000) كيلوغرام من (534,714) رأس أي بمعدل (0.7) كيلوغرام للحيوان الواحد من نوع واحد من الأغنام هي الأغنام ذات الإلية المسماة "*udu-gukkal*" التي انتجت أنواع فاخرة من الاصواف.

لقد جاء موسم جز صوف الأغنام في التقويم الزراعي السومري بالمرتبة الثانية من حيث الأهمية بين المواسم التي تضمنها هذا التقويم بعد موسم حصاد محاصيل الحبوب، وتجلت هذه الأهمية بتسمية الشهر

الذي تتم فيه العملية بشهر "جز صوف الغنم". ويظهر من النصوص المسمارية المكتشفة وجود شهرين اثنين مخصصين لهذا العمل في التقويم المعتمد قبل عهد الملك سرجون الأكدي في كل من "گرشو" و"آدب". ولايتسع المجال هنا لذكر تفاصيل اوفى عن اعداد قطعان الأغنام في كافة دويلات المدن السومرية عدا ما يذكره عالم الاثار روبرت ماك أدامز بأن عدد ما امتلكته الدولة منها كان مالا يقل عن (10,000) في منطقة دولة "اومّا" بينما امتلكت دولة لگش (66,095) [5].

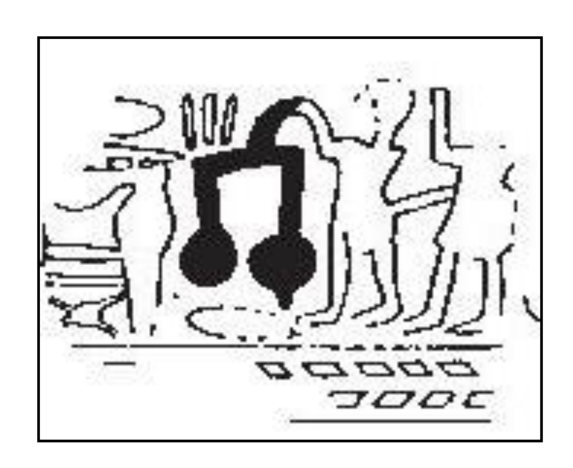
وكما هو متوقع فأن الخطوة التالية بعد جز الصوف أن يتم جمعه ونقله الى مواقع محددة من اجل تنظيفه مما علق به من اوساخ مثل الاشواك وفضلات الحيوانات وغيرها ليتم بعد ذلك غسله يدويا ونفشه وتمشيطه بأمشاط من الخشب او الواح مسطحة من الخشب أيضا، وقد اشارت السجلات المحفوظة من "أومّا" الى كل هذا بوضوح. وتعتبر هذه العملية على الرغم من صعوبتها اسهل من تنظيف نبات الكتان الذي يتطلب نقعه وضربه بمضارب خشبية ثم قشطه وتمشيطه مما يفسر سبب قلة المنسوجات الكتانية واقتصارها حصريًا على لباس الأشخاص من ذوي الرتب العالية وكذلك تلك التي تقدم هدايا الى الآلهة والإلهات.

بعد غسل الصوف وتجفيفه يجري عادة رزمه في بالات ليتم خزنها في مخازن خاصة معدة لهذا الغرض حتى تجري عليها بقية العمليات التحويلية لاحقا، وهناك إشارات الى ذلك في الرسومات على الاختام الاسطوانية من فترة اوروك، أما اكثر ما يثير الاهتمام من من تلك الرسومات فهو ما يعتقد انه إشارة الى ما سمى "بيت الصوف *É-siki*" في مدينة إلبا الذي يعتقد انه لم يكن ورشة عمل بل أشارة مجازية الى مكان خزن الذهب والفضة، وهو ما يؤيد قيمة الصوف العالية خلال فترة فجر السلالات، وفي هذا السياق نرى ان احد المشاهد التي نقشت على راية مدينة "اور" المعروفة كان يمثل عمليات نهب بالات الصوف الثمين وذلك خلال أوقات الحروب المبكرة (الشكل 1) [6].



الشكل 1: رسم يمثل نهب بالات الصوف كما نقشت على راية اور [6].

ولقد حرص السومريون في كل هذا على وزن الصوف لأهميته في النظام المالي السومري واستعماله لدفع الأجور منذ الفترات المبكرة وهناك على الأقل حالة واحدة لرسم منقوش على ختم اسطواني يبين عملية الوزن هذه بتعليق الصوف على سلسلة قبان كما هو واضح من (الشكل 2) [7].



الشكل 2: عملية وزن الصوف كما تظهر باد النقوش [7].

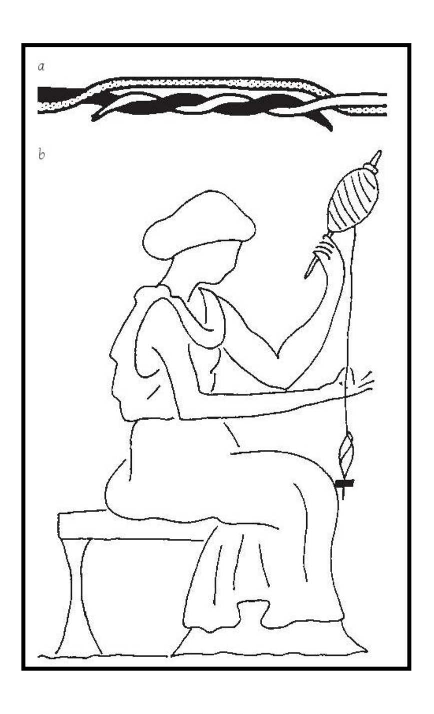
تبدأ المرحلة التالية من العمليات التحويلية لتصنيع الصوف النظيف بان يصار الى غزله وتحويله إلى خيوط مناسبة ويجري ذلك اما منزليا او في ورش خاصة باستخدام مغازل خشبية واثقال مدورة تصنع من الفخار او الحجر ويبلغ قطر الواحد منها حوالي(1.4) سنتمترا كما ان لكل واحد ثقب بالقرب من المركز. وقد تم العثور على العديد من هذه الاثقال في المدن السومرية ومنها النموذج الذي عثر عليه في تنقيبات نيبور ويعود تاريخيه الى حوالي (2900-2600) سنة ق.م وهو محفوظ الان في متحف الميتروبوليتان في نيويورك والمبين في (الشكل 3) [8] و يمتد استخدام المغازل الخشبية مع الأقراص هذه في الشرق الأدنى إلى نهايات العصر الحجري الحديث.



الشكل 3: قرص فخاري يستخدم في غزل الصوف يعود الى فترة فجر السلالات في الفترة 2900- 2600 ق.م ومحفوظ الان في متحف الميتروبوليتان في نيويورك [8].

ووردت تفاصيل عملية الغزل وكيف تتم في ميزوبوتاميا في نقوش من العصر البرونزي وجدت على اختام اسطوانية وفيها صور لعاملات وهن يمسكن بعصا خشبية ذات نهايات مستديرة يُحمل عليها الصوف بينما يتدلى المغزل في الطرف الثاني ويوفر القرص الفخاري المصاحب له الوزن اللازم لشد

الخيط نحو الاسفل، وتقوم العاملة بمسك العصا بإحدى اليدين بينما تسحب وتبرم الياف الصوف على المغزل باليد الثانية وبالتالي يتم تقوية الخيط الناتج وشده ولفه على المغزل (الشكل 4).

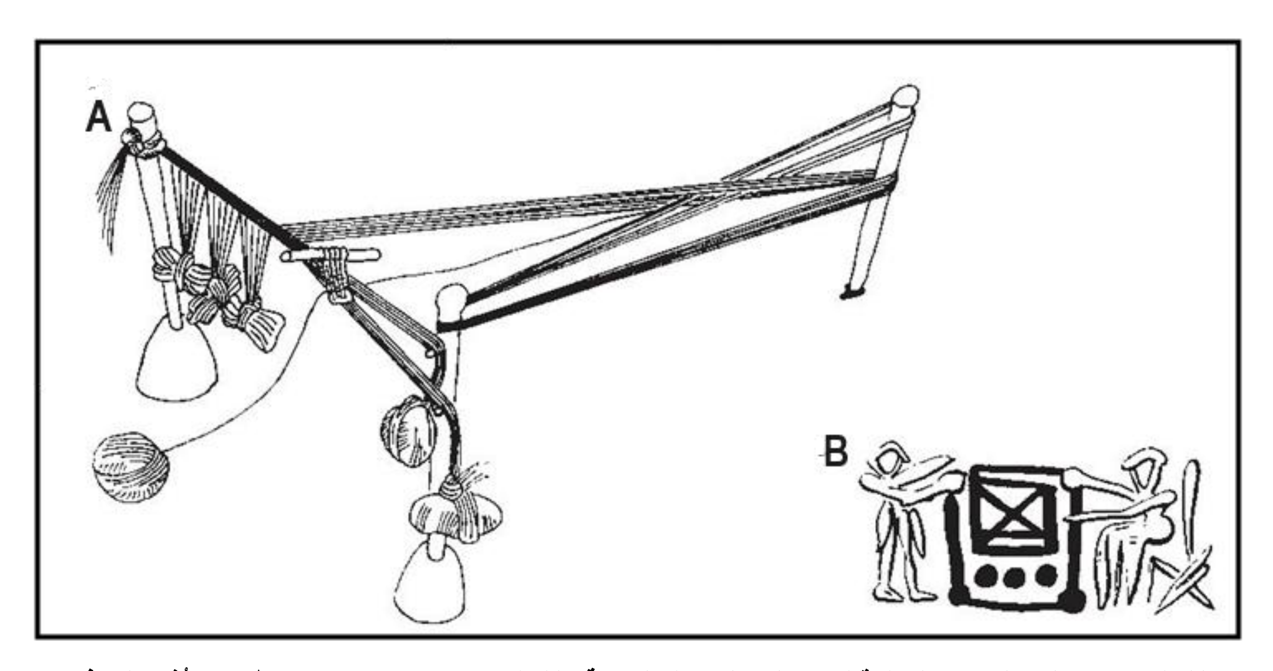


الشكل 4: عملية غزل الصوف ويشاهد فيها عاملة ممسكة بالمغزل المحمل بالصوف بيد وتقوم بلف وبرم الخيط باليد الثانية ويظهر قرص الثقل في النهاية . كذلك لاحظ في اعلى الشكل عملية برم الياف الكتان التي تتم يدويا [9].

كان السومريون شغوفين بالمنسوجات الملونة إلا ان هناك نزر يسير جدا من الشواهد من بلاد سومر التي تفيد بصبغ الغزول قبل نسجها. وكانت الوان الغزول المستخدمة عادة في النسيج هي الألوان الطبيعية للصوف سواء اللون الأبيض اوالأسود اوالأحمر او البني وكذلك شعر الماعز المستعمل لوحده او الذي تم خلطه مع الصوف ايضا، وبذلك فأن قائمة المنسوجات المتعددة الألوان التي وصلت الينا من نصوص عائدة لمدينة (اومّا) في فترة سلالة الثالثة وكذلك من احدى المقاطعات الملكية الواقعة قرب "نيبور" قد تكون من خلط غزول ذات الوان طبيعية متعددة. والاستثناءات من ذلك الوان قليلة مثل اللون الأصفر الباهت المستخرج من اللهانة التي عرفها السومريون باسم (^{šam}*ZA.GAÌN.NA*) وكذلك اللون الأخضر واللون الأصفر البراق اللذين جاء ذكرهما في نصوص من "اوروك". أما المنسوجات الصفراء البراقة اللون التي انتجت خصيصا للملك فقد يكون جرى استعمال الزعفران في صبغ غزولها، وجاء ذكر زهرة الزعفران في نص مسماري اكدي على احد الواح الطين تحت تسمية (*şupur a - zu-pri- ru*) . وفي اللغة السومرية فأن تسمية الزعفران هي (^{šam}*ḪAR.SAG. SAR*) و تقابل (^{šam}*azupiru*) الاكدية. وفي هذه الحالة يعتقد بأن الغزول كانت تُنقع بمحلول مخفف جدا من الزعفران وتعاد العملية عدة مرات بالنظر للكلفة الباهظة للزعفران حيث ان الاونصة الواحدة من هذه الصبغة تحتاج الى (4300) زهرة من نبات الزعفران . أما اللون الارجواني الذي عرفه السومريون باسم (ŠIGZA. GÌN.NA) فقد كان ذكره

نادرا في النصوص السومرية والاكدية وفي الحالات القليلة الأخرى التي جاءت على ذكره فأن من المحتمل جدا بأن الصوف المصبوغ باللون الارجواني قد تم استيراده من سوريا حيث كانت صنعة الصباغة رائجة وذلك بحسب نص باللغة الاكدية مكتشف في اثار مدينة "نوزي *Nuzi*" [10] المعروفة باسم (*Gasur*) والواقعة على نهر دجلة في يورغان تبه جنوب غرب عرفة في مدينة كركوك.

عند البدء بالحياكة يصار أولا الى تنضيد ولف الخيوط حول اوتاد مثبتة على جانبي لوح خشبي مستطيل الشكل من اجل ترتيب الخيوط بصورة متوازية وتنسيقها قبل تمريرها على نول الحياكة وبالتالي منع تشابكها وتكّون العقد فيها ويوضح (الشكل 5A) هذا الامر بينما نرى في (الشكل 5B) رسم من ختم اسطواني عُثر عليه في خفاجة يبين عاملتين جالستين على جانبي اللوح وهما تعملان بلف الخيوط على الاوتاد المذكورة.



الشكل 5: (A) لوح لتنضيد الغزل قبل تحميله على نول الحياكة. الشكل (B) رسم من ختم اسطواني عُثر عليه في خفاجة يوضح كيفية العمل على اللوح [11].

ويعتقد من الشواهد القليلة المتوفرة بان السومريين عملوا على الانوال الافقية وربما في بعض الحالات على العمودية منها أيضا حيث تُشير بعض الاختام الاسطوانية الي استخدام النوعين، ومن الرسوم على هذه الاختام يتضح ان النول الافقي المثبت عادة فوق مساند لرفعه عن سطح الأرض له ذراعان الأول يقع جهة النسّاج والثاني في الجانب المقابل له وفي هذا الذراع تثبت نهايات الخيوط وتُعقد لحياكة حافة قطعة القماش ويقوم بهذا العمل عامل ثاني. وتتكون عملية الحياكة نفسها من امرار الحائك خيوط اللحمة ذهابا وإيابا تحت بعضها البعض مع ضرب المنسوج بمشط خشبي بعد كل إضافة وعند انتهاء عملية الحياكة يصار الى ربط نهايات الخيوط لمنع تفكك قطعة النسيج. واستنادا على نصوص تبين تفاصيل بالأجزاء الخشبية المكونة للنول يتضح بأن طول كل من الذراعين قد يصل أحيانا الى ستة امتار وهو الطول

المماثل في الأنواع الميكانيكية الحديثة. اما المنتوج في نهاية هذه المرحلة فهو القماش الخام الذي أُطلق عليه اسم "*guz-za*" الذي تجري عليه لاحقا عمليات انهاء خاصه لجعله بالنوعية النهائية المطلوبة.
وفي تفاصيل مثيرة للاهتمام وجدت في نص مكتشف في احدى ورش النسيج في مدينة "اومّا" من فترة سلالة اور الثالثة وصف للعملية الإنتاجية والعمالة المطلوبة وورد فيه ما يلي "بعد تحويل الاوزان الى النظام المتري":

"لإنتاج قماش " guz-za" من أربع كيلوغرامات من الصوف،

عاملة واحدة تقوم بغسل وتمشيط 125غرام من الصوف يوميا،

عاملة أخرى تقوم بتنفيش الصوف النظيف بمعدل كيلوغرام واحد يوميا وكمية الغزل التي تنتج تساوي 333 غرام،

تغزل العاملة الواحدة هذا الصوف لإنتاج غزل مبروم ومتين بمعدل 8.3 غرام وتزن كمية غزل اللحمة المحملة على النول 1.66 كيلوغرام وانتاجها اليومي 61 غرام باليوم،

طول القماش الخام " guz-za" المنتج يبلغ 3.5 متر،

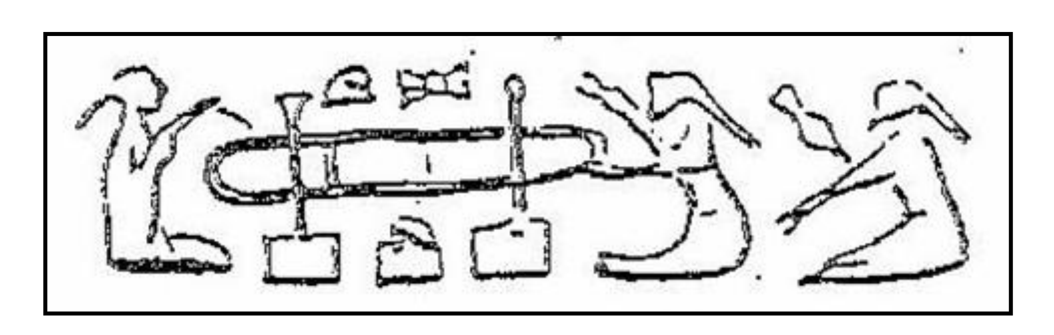
عرضه 3.5 متر،

ثلاث عاملات لتحميل الغزول على النول في ثلاثة أيام وعاملتان للحياكة بمعدل 50 سنتيميتر باليوم" [12].

بعد رفع القماش من على النول تجري عليه عمليات انهاء وتشطيب لجعله بالنوعية النهائية المطلوبة وتشمل عدة خطوات تبدأ بغسله وتجفيفه ورفع الزوائد منه وتسوية سطحه، وتشبه هذه الخطوات عملية صنع اللباد إلا انها تتم على قماش منسوج وليس على صوف الاغنام او شعر الماعزمباشرة. وفي بلاد سومر كانت عمليات الانهاء هذه تتم في أماكن مستقلة عن ورش النسيج وتحتاج في العادة الى عمالة كبيرة. ويبين احد النصوص من مدينة اور جلب (5800) قطعة من القماش بلغ وزنها (4650) كيلوغرام من اجل اجراء عمليات الانهاء عليها. و يقدر الباحث (D T Potts) بأن الكيلوغرام الواحد من القماش الجاهز تطلب 7.7 أيام عمل للإنجاز النهائي [13].
هذا ويشيرعدد من النصوص المسمارية المكتشفة في العديد من المدن السومرية بضمنها "اريساگرك" (الشراگي) و"لگش" و"اومّا" و"اور" و"اوروك" و"نيبور" و"بورش- داگان" على انتشار مصانع الحياكة فيها. وكانت كل دار حياكة (*é- uš- bar*) تدار عادة من مشرف او من رئيس نساجين من المنتمين الى رابطة النساجين ويعمل فيه عدد من الرجال والنساء. وكان من المعتاد أيضا أن تقوم النسوة

بالغزل والحياكة في منازلهن في أوقات فراغهن في حالة لم يتطلب الامر انتاجا كبيرا لاغراض التصدير [14].

وكانت غالبية العمالة في صناعة النسيج عادة من النسوة مع العديد من الأطفال ايضا. ويبين (الشكل 6) مجموعة من العاملات يعملن على نول حياكة كما ظهروا في احد الأختام الاسطوانية من فترة اوروك المتأخرة – جمدة نصر.



الشكل 6: رسم من ختم اسطواني من فترة اوروك المتأخرة – جمدة نصر يبين عدد من عاملات الحياكة اثناء العمل [15].

ويكشف احد النصوص المكتشفة عن قائمة تعدد مصانع النسيج التي كانت موجودة في "گرشو" وفيها يُذكر بأن عدد العاملين في تلك المصانع خلال العام الثامن والأربعين من حكم الملك "شولگي" بلغ (1097) من العاملات و (626) من الأطفال بينما نَقُص عدد العاملات الى (1051) في السنة التالية أي في السنة الأولى من حكم إبنه الملك "امّار- سن" المعروف أيضا باسم "امّار- سوين". بينما وصل العدد أخيرا في السنة التاسعة من حكم هذا الملك الى (1019) من العاملات الاناث و(686) من الأطفال.

وكانت القوة العاملة من النسوة اما اسيرات حرب او من طبقة العبيد او سجينات من الاحرار كما إن بعضهن كن من فئة الاروا" *arua*"وهي الفئة من الافراد ممن قُدِموا او كُرِسوا الى معبد ما باعتبارهم منذورين من احدى فئات المجتمع كالصيادين او صاغة الفضة او التجار او من الاغنياء او حتى من حاكم المدينة [16].

وكان المتوقع من النساجين والنساجات القيام بأعمال إضافية وليس الحياكة فحسب مثل نتف الصوف ونفشه والعمل في الحقول وصيانة قنوات الري وسحب القوارب ونقل القصب. و كان اكبر مصانع النسيج في منطقة "لگش" دون شك موجودا في بلدة "گو ابا *Gu'abba*" التابعة لها حيث يذكر احد النصوص ان عدد العاملات فيه بلغ (4272) من النساجات إضافة الى الاطفال الذي وصل تعدادهم الى (1800) [17].

وتقع بلدة "گو أبا" في منطقة كرشو/ لگش الى الجنوب من مدينة لگش نفسها كما مبين في (ألشكل 7)[18].



الشكل 7: خارطة تبين موقع بلدة "گو أبا" احد اكبر مراكز صناعة المنسوجات في جنوب ميزوبوتاميا منذ الفترة السرجونية وحتى نهاية فترة سلالة اور الثالثة [18].

ويعتقد عالم اللغات السامية البروفسور فيرماك "Petrus S Vermaak" بأن هذا البلدة كانت في الماضي اقرب الى سواحل الخليج مما هي عليه الآن وانها ربما كانت مرفأ الاستيراد والتصدير لمدينة "گرشو" كما انها ارتبطت ارتباطا تجاريا وثيقا مع بلاد السند وحضارة ميلوحا فيها، وهذا بدوره يشير الى أن مصدر العديد من احجار العقيق وأنواع الخرز الاخرى التي وجدت في قبر الملكة بو آبي في اور وكذلك في انحاء جنوب ميزوبوتاميا الأخرى كان عن طريق "گو أبا" الغير بعيدة عن اور. ويجمع الباحثون على ان سكانها كانوا من بلاد السند الميلوحيين الذين يعتقد انهم من سلالة قديمة من تلك البلاد استوطنوا هنا وجلبوا معهم مهاراتهم في صناعة النسيج واصبحوا مصدر للعمالة الرخيصة في هذه الصناعة. لذلك فأن ما يهمنا في الموضوع هو ارتباط البلدة الوثيق بصناعة المنسوجات وانه خلال فترة سلالة اور الثالثة كانت هناك في بلدة "گو أبا" اكبر مجموعة من العاملين في صناعة النسيج في كافة منطقة "گرشو" وأن معظمهم كانوا من العاملات والأطفال [19].

التجارة والتعاملات بالمنسوجات السومرية

كان التبادل التجاري داخليا بين المدن السومرية وخارجيا مع الأقاليم الأخرى من اهم الفعاليات الاقتصادية التي مارسها السومريون منذ بزوغ شمس حضارتهم منذ الربع الأخير من الالفية الرابعة قبل الميلاد خلال فترة اوروك واستمرت لاحقا حتى أدوار متأخرة. وشمل هذا التبادل العديد من المواد من المنتجات

الحيوانية سواء الخام منها اوالمصنعة ومنها الصوف والمنسوجات التي انتجوها منها فكانت من اهم السلع المصّدرة من جنوب ميسوبوتاميا عبر الطرق البرية والبحرية الى اماكن أخرى مثل وادي السند وبلوجستان في الشرق والى "إلبا" في شمال شرق سوريا وبلاد الاناظول في الشمال. وقد حصلوا بالمقابل على اللازورد والاحجار الثمينة الأخرى والنحاس والفضة والقصدير والاخشاب وغير ذلك مما كانوا بحاجة اليه لديمومة حضارتهم واقتصادهم المتنامي. وتُشيرالمصادر من بلاد دلمون وتلك التي تتحدث عن بلاد "ارّاتا *Aratta*) الأسطورية بالرغبة القوية في الحصول على المنسوجات المتقنة الصنع من بلاد سومر.

وتؤكد عدة نصوص وردت في بعض السجلات المُكتشفة في "گرشو" من الفترة التي سبقت عهد الملك سرجون الأكدي والتي تعني بالمنسوجات على أهمية الصوف ومنتجاته وعلى اعتبارها من اهم السلع المستخدمة في التعاملات المختلفة، فمنها ما كان معدا للتصدير ومنها ما كان مخصصا لسد احتياجات السكان كما كان منها ايضا ما تم أهداءه الى العديد من الافراد ومنهم تجار وموظفين كبار. ومكّنت الوفرة الكبيرة في المنسوجات المصنوعة في العديد من المدن السومرية من فتح قنوات للتبادل الخارجي للحصول على السلع والمواد التي اشرنا اليها آنفا.

ومما تجدر الإشارة اليه ان خامي النحاس والقصدير الداخلين في صناعات البرونز المهمة جدا للمجتمعات السومرية كانا من بين المواد التي جرت مبادلتها بكميات كبيرة من منسوجات مدينة "لگش" في الوقت الذي تم شحن كميات كبيرة من هذين الخامين المستوردين عن طريق مرفأ "لگش" في "گرشو" الى بقية المدن السومرية بواسطة السفن خلال شبكة المجاري المائية الكثيفة الانتشار.

وبحسب بعض المؤرخين فقد كانت المنسوجات والملابس الثمينة من جملة الهدايا المقدمة الى زوجات حكام الدويلات من خلال ما يمكن تسميته بالعلاقات الدبلوماسية بين هذه الدويلات. و تفصح عن هذا الأمر بعض الرسائل المكتشفة المتبادلة بين زوجات حكام وملوك هذه الدويلات ومنها رسالة من "سيدة دلمون" الى "سيدة لگش"، فقد قامت "سيدة دلمون" بأرسال هدية لها من سلة تمور مع ثلاث اثواب من الكتان الثمين من بينها ما يعتقد انه كان عباءة من اجود الأنواع "*bard-dul*$_5$ " التي احتاج العمل لصنعها (1080) يوما. وفي رسائل أخرى بين "سيدة آدب" و "سيدة لگش" تبادلت السيدتان هدايا من المصنوعات اليدوية والنحاس مع عدم اغفال اهداء الرسول الذي حمل الهدايا بعض الثياب جزاءا لخدماته.

وقد جرت العادة في المناسبات الدينية وحسب الطقوس تبادل الهدايا بين "البيت " !! والمعابد حيث تُكّرم الآلهة، كما كان يتم أيضا توزيع الهدايا على العامة وعلى الافراد المهمين خلال المناسبات الاحتفالية الأخرى الخاصة بالمواسم الزراعية التي تجري في الاماكن المقدسة، وكانت المنسوجات جزءا مهما من تلك الهدايا.

ويمكن القول في الخلاصة واستنادا على الشواهد المتوفرة بأن صناعة المنسوجات تطورت بمرور الزمن في المدن السومرية بصورة تدريجية منذ بواكير الحضارة فيها وانها اتسعت بشكل كبير خاصة في فترة سلالة اور الثالثة وتحديدا في "لكش". ففي "لكش" كان هناك صناعة مهمة للمنسوجات الصوفية خدمت أغراض التبادل التجاري الداخلي والخارجي وقدمت وعلى نطاق واسع منتجات نسيجية خفيفة الوزن وسهلة النقل وذات قيمة عالية. وساعد موقع مدينة "لكش" الستراتيجي على نقل هذه السلع داخليا وخارجيا كما ساعدت شبكة الجداول الكثيفة حولها على مرور المراكب والصنادل المائية وبالتالي شحن حمولات وصلت أحيانا الى (35) الى (30) طن بين "لكش" ومدينة "اور" ومنها جرى إعادة توزيع تلك المنتجات على باقي المدن السومرية بالاضافة الى المواد والسلع العديدة الاخرى [20].

المصادر

[1] Breniquet C. “The Archaeology of Wool in Early Mesopotamia: Sources, Methods, and Perspectives”. From: “WOOL ECONOMY IN THE ANCIENT NEAR EAST AND THE AEGEAN” PP.52-78.
ia903007.us.archive.org/21/items/WoolEconomyInTheAncientNearEastAndTheAegeanFromTheBeginningsOfSheepHusbandryToIn/Wool Economy in the Ancient Near East and the Aegean From the Beginnings of Sheep Husbandry to Institutional Textile Industry Catherine Breniquet.pdf

[2] McCorriston J. “The Fiber Revolution: Textile Extensification, Alienation and Social Stratification in Ancient Mesopotamia”. Current Anthropology 38(4): 517–549.
https://vdocuments.mx/download/the-fiber-revolution-textile-extensification-alienation-and-social-stratification.html

[3] Maekawa K “Female Weavers and their Children in Lagash – Pre Sargonic and Ur III”. Acta Sumerologica 2.1980
https://www.academia.edu/40844701/Female_weavers_and_their_children_in_Lagash_pre_Sargonic_and_Ur_III

[4] Ryder M L. “Sheep and goat husbandry with particular reference to textile fibre and milk production” Bulletin on Sumerian Agriculture Volume VII PP 9-32.Cambridge 1 993
https://archive.org/details/sheep-and-goat-husbundry-with-particular-reference-to-textiles-and-milk-production

[5] Adams, R. McC. 2004 “Reflections on the Early Southern Mesopotamian Economy”. (Eds.) G M Feinman, L M Nicholas, “ Archaeological Perspectives on Political Economies”.

Salt Lake City: University of Utah Press, pp. 41–59
https://www.scribd.com/doc/26913500/Robert-McC-Adams-Reflections-on-the-Early-Southern-Mesopotamian-Economy

[6] Breniquet C. "The Archaeology of Wool in Early Mesopotamia: Sources, Methods and Properties". Page68. From Wool Economy in the Ancient Near East and the Aegean. The Ancient Textile Series 17, 2014
www.academia.edu/34448065/Archaeology_of_Wool_in_Early_Mesopotamia_in_C_Breniquet_et_C_Michel_eds_Wool_Economy_in_the_Ancient_Near_East_and_the_Aegean_from_the_beginnings_of_Sheep_Husbandry_to_Institutional_Textile_Industry_colloque_ESF_6_8_nov_2012_Nanterre_Oxbow_Books_Ancient_Textile_Series_17_2014_p_52_78

[7] Ibid

[8] The Met. New York. Accessed 10 March 2024
www.metmuseum.org/art/collection/search/325493

[9] Breniquet C. "The Archaeology of Wool in Early Mesopotamia: Sources, Methods and Properties". Page68. From Wool Economy in the Ancient Near East and the Aegean. The Ancient Textile Series 17, 2014

www.academia.edu/34448065/Archaeology_of_Wool_in_Early_Mesopotamia_in_C_Breniquet_et_C_Michel_eds_Wool_Economy_in_the_Ancient_Near_East_and_the_Aegean_from_the_beginnings_of_Sheep_Husbandry_to_Institutional_Textile_Industry_colloque_ESF_6_8_nov_2012_Nanterre_Oxbow_Books_Ancient_Textile_Series_17_2014_p_52_78

[10] Levey M. "Dyes and Dyeing in Ancient Mesopotamia". PP. 625-629. Journal of Chemical Education, December 1956 https://pdfslide.net/documents/dyes-and-dyeing-in-ancient-mesopotamia.html?page=1

[11] Breniquet C "The Archaeology of Wool in Early Mesopotamia: Sources, Methods, and Perspectives". ". Page70. From Wool Economy in the Ancient Near East and the Aegean. The Ancient Textile Series 17, 2014
ia903007.us.archive.org/21/items/WoolEconomyInTheAncientNearEastAndTheAegeanFromTheBeginningsOfSheepHusbandryToIn/Wool Economy in the Ancient Near East and the Aegean From the Beginnings of Sheep Husbandry to Institutional Textile Industry Catherine Breniquet.pdf

[12] Wright R. "Sumerian and Akkadian Industries: Crafting Textiles". From "The Sumerian World" (Ed) H. E. W. Crawford. Chapter 20 PP 395- 417 Routledge Press 2013

https://as.nyu.edu/content/dam/nyu-as/faculty/documents/RWrightSumerian_and_Akkadian_Industries_2013.pdf

[13] Potts D T "Mesopotamian Civilization - The Material foundation". Page 95 London 1997
https://ia801402.us.archive.org/15/items/MesopotemianCivilizationTheMaterialFoundations/PottsMesopotamienCivilisation1997.pdf

[14] Levey M. “Dyes and Dyeing in Ancient Mesopotamia”. PP. 625-629. Journal of Chemical Education, December 1956

https://pdfslide.net/documents/dyes-and-dyeing-in-ancient-mesopotamia.html?page=1

[15] Potts D T . “Mesopotamian Civilization - The Material foundation”. Page 94 London 1997

https://ia801402.us.archive.org/15/items/MesopotemianCivilizationTheMaterialFoundations/PottsMesopotamienCivilisation1997.pdf

[16] Gelb I J. “The Arua Institution”. Revue d’Assyriologie. Vol 66, N0.1. PP. 1-31. 1972 Revue d’Assyriologie

https://www.jstor.org/stable/23283380

[17] Potts D T. “Mesopotamian Civilization - The Material foundation”. Page 94 London 1997

https://ia801402.us.archive.org/15/items/MesopotemianCivilizationTheMaterialFoundations/PottsMesopotamienCivilisation1997.pdf

[18] Vermaak P S. “Gu’abba, the Meluhhan Village in Mesopotamia”. Harappa.com. accessed on 15 March 2024.
https://www.harappa.com/content/guabba-meluhhan-village-mesopotamia

[19] Vermaak P S. “Gu’abba, the Meluhhan Village in Mesopotamia”. Journal for Semitics 17/2 (2008) pp. 454-471

https://www.researchgate.net/publication/266088198_Guabba_the_Meluhhan_Village_in_Mesopotamia#fullTextFileContent

[20] Wright R. “Sumerian and Akkadian Industries: Crafting Textiles” in The Sumerian World Edited by Harriet Crawford.2013. PP. 395- 418.

https://iranvarjavand.ir/wp-content/uploads/2020/08/The-Sumerian-World-2013.pdf